THE KURDISH CENTER FOR STUDIES

جماعة الإخوان المسلمين المصرية

التأسيس وشخصية حسن البنا

THE KURDISH CENTER FOR STUDIES

المركز الكردي للدراسات

مؤسسة بحثية مستقلة وغير ربحية تأسست في عام ٢٠١٤، متخصصة في الشؤون السياسية المحلية والإقليمية والدولية. يهدف المركز من جميع نشاطاته إلى تعزيز المعرفة والسلم والتعايش، وفي المقام الأول تعزيز الحوار بين السوريين بمختلف مشاربهم. ويعنى المركز أيضاً بتشجيع التفكير والتحليل لاستقراء المستقبل ومعالجة التحديات التي تواجهها مجتمعاتنا .

https://nlka.net

المركز الكُردي للدراسات
على مواقع التواصل الاجتماعي

+49 15209647770

جماعة الإخوان المسلمين المصرية
التأسيس وشخصية حسن البنا

طارق حمو

المحتويات

أولا: تـأسيس الجماعة: 6

أـ الظروف الاجتماعية: 7

ب: الظروف الاقتصادية: 12

ج ـ الظروف السياسية: 14

ثانياً: شخصية حسن البنا: 24

أـ البدايات والتأثر: 24

ب ـ مرحلة الإسماعيلية وتأسيس الجماعة: 27

ج ـ التشكيل والعمل السياسي: 31

المـــصـــــــــادر: 34

تأسست جماعة الإخوان المسلمين على يد المدرس حسن البنا عام 1928، كرد فعل على الأوضاع والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي مرت بها مصر والمنطقتان العربية والإسلامية. وتمثلت هذه الظروف في تشكيلة واسعة من العوامل والأحداث التي دفعت بمؤسس الجماعة إلى اتخاذ قرار تأسيس جمعية دينية، أراد لها أن تكون اجتماعية، سياسية، دعوية، تهدف لإصلاح الأوضاع المتردية. التحضير والتأسيس للجمعية جرى في فترة تغيرات كبرى مثل الاستعمار الغربي الذي حل بمصر والعالم الإسلامي، وانهيار السلطنة العثمانية التي كانت تمثل دولة الخلافة لملايين المسلمين، وصعود النزعة القومية وانتشار الأفكار والأيديولوجيات القادمة من الغرب. كما عم عصر البنا المؤسس الفقر والجهل، وظهرت دعوات التغريب والتبشير والميل إلى"المظاهر الخلاعية"، والتبرج، وتم فتح حانات الخمور ودور القمار ونوادي الرقص. أثرت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، في عصر التأسيس، على حياة وحرية الناس، وعملت على إفقارهم وإبقائهم جاهلين، لا مشاركة لهم في المجتمع والاقتصاد والسياسة، ولا تمثيل لهم في مؤسسات ودوائر الدولة ومراكز صنع القرار.

أولا: تـأسيس الجماعة:

عبر حسن البنا عن أهداف جماعة الإخوان المسلمين الرامية لإعادة تشكيل المجتمع المصري، عن طريق التدخل في كل مناحي الحياة، وعلى رأســها المناحي الاجتماعية والاقتصــادية والسياسية، للقضاء على ما أسماها ب"الأمراض والآفات والعادات الدخيلة"، التي تسربت إلى المجتمع المصــري، وذلك عندما كتب: "تســتطيع أن تقول ـــــ ولا حرج عليك: إن الإخوان المسلمين:

1ـ دعوة سلفية: لأنهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله.

2ـــ وطريقة سـنية: لأنهم يحملون أنفسـهم على العمل بالسـنة المطهرة في كل شـيء، وبخاصة في العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلا.

3ـــ وحقيقة صوفية: لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس، ونقاء القلب، والمواظبة على العمل، والإعراض عن الخلق، والحب في الله، والارتباط على الخير.

4ـ وهيئة سياسية: لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم في الداخل، وتعديل النظر إلى صلة الأمة الإســلامية بغيرها من الأمم في الخارج، وتربية الشــعب على العزة والكرامة والحرص على قوميته إلى أبعد حد.

5ـــ وجماعة رياضـية، لأنهم يعنون بجسـومهم، ويعلمون أن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.

6ـــ ورابطة علمية ثقافية، لأن الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، ولأن أندية الإخوان هي في الواقع مدارس للتعليم والتثقيف، ومعاهد لتربية الجسم والعقل والروح.

7ـــ وشركة اقتصادية: لأن الإسلام يعني بتدبير المال وكسبه من وجهه، وهو الذي يقول نبيه: نعم المال الصالح للرجل الصالح .

8ـــ وفكرة اجتماعية: لأنهم يعنون بأداء المجتمع الإســلامي ويحاولون الوصــول إلى طرق علاجها وشــفاء الأمة. وهكذا نرى أن شــمول معنى الإســلام قد أكســب فكرتنا شــمولا لكل

مناحي الإصلاح، ووجه نشاط الإخوان إلى كل هذه النواحي، وهم في الوقت الذي يتجه فيه غيرهم إلى ناحية واحدة دون غيرها يتجهون إليها جميعاً، ويعلمون أن الإسلام يطالبهم بها جميعاً"(1).

وفيما يلي عرض لكل من الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي أسهمت في نشأة وظهور جماعة الإخوان المسلمين في مصر:

أـ الظروف الاجتماعية:

طغت الطبقية على المجتمع المصري في بداية القرن العشرين، وتميز المجتمع في المملكة المصرية آنذاك، بتركيبة اجتماعية ساد فيها التمايز والاختلاف الشديد في المستويين الاجتماعي والاقتصادي، حيث الفقر المدقع من جهة، والغنى الفاحش، لكن ضمن طبقة محددة وصغيرة، من جهة أخرى. وبدت الطبقية والتمايز المعيشي في بروز ثلاث فئات واضحة المعالم:

1ـ الطبقة الغنية العليا: صاحبة المال والامتيازات، والتي تضم كبار الإقطاعيين من ملاك الأراضي الزراعية الشاسعة والضيع والعزب والسرايات، ومن أصحاب وسائل الإنتاج، من معامل ومصانع وشركات تجارية وفعاليات اقتصادية مؤثرة. لقد سيطر أبناء هذه الفئة المتنفذة على البنوك والمؤسسات المالية وقطاع العقارات وبورصات القطن والمحاصيل الزراعية الاستراتيجية. هذه الفئة التي أطلق عليها: كبار الملاك، الإقطاع، البكوات والباشاوات، كانت تعيش حياة مخملية، يسودها الترف والبذخ، وتميل إلى الحياة الليبرالية، الغربية الطابع، حيث طريقة الحياة كما في أوروبا، مظهراً وممارسة.

2ـ الطبقة المتوسطة: ذات الملكيات المتوسطة، من ميسوري الحال. هذه الطبقة ضمت فئات من التجار والعاملين في القطاع التجاري والصناعات الخفيفة، والمهن الحرفية، وقطاعات واسعة من الموظفين والمثقفين وذوي الشهادات. وهي مثلت الطبقة الأوسع، أي سواد الشعب. وهي التي قامت بعملية النهوض السياسي، والانضمام إلى الأحزاب السياسية والنقابات والعمل فيها. مع ذلك ساد الفقر وانتشرت الأمية بين قسم كبير من هذه الفئة.

3ـ الطبقة الفقيرة: أو الطبقة الدنيا. وتضم الفلاحين، والبدو، وصغار العمال غير المؤهلين وغير المدربين، وتشكيلة من القوى العاملة التي تعتمد على المجهود العضلي. وهؤلاء

(1) البنا، حسن: مجموعة رسائل الإمام البنا. دار النداء. اسطنبول، تركيا. الطبعة الأولى 2015. ص 323 و334 و335.

يسود بينهم الفقر والجهل وانتشار الأمية، ويتعرضون للظلم والتهميش والتفقير والإهمال من قبل ملاك الأراضي وأصحاب المصانع ورؤوس الأموال. وشكل الفلاحون المعدمون الفئة الأكبر من هذه الطبقة، وقد انتزع الإقطاع و الباشاوات أراضيهم منهم، وعمدوا إلى تشغيلهم فيها، في وضع يشبه السخرة، حيث العمل كأجراء، والاشتغال في موسم واحد في السنة، بينما يظلون دون عمل مدفوع الأجر، باقي فصول السنة(2).

هكذا بدت أحوال المجتمع المصري عند ظهور جماعة الإخوان المسلمين، وهي أحوال مزرية أسهمت في تكوين شخصية البنا ودفعه إلى البحث عن حلول يغير من خلالها هذا الواقع، ويحسن من ظروف وشروط حياة الناس، وينهي معاناتهم. لقد رصد حسن البنا الأحوال المتردية التي يعيش في ظلها المصريون، وتعرف عن قرب على معاناة الأهالي، والأسباب التي كمنت في توسيع وشرعنة حالة البؤس والتفقير والتجهيل والإقصاء التي عانوا منها، فبحث لهم عن وصفة يتمكن من خلالها من معالجة أمراض المجتمع، وإنهاء الفقر والفاقة، ويستطيع، في نفس الوقت، تحشيد الناس خلفه وتأطيرهم ضمن صفوف الجماعة السياسية، الاجتماعية، الدينية التي كان ينوي تأسيسها، "إن هذه التركيبة الإجتماعية وحالة الفقر التي عانى منها معظم الفلاحين الذين كانوا أجراء لا يكادون يملكون قوت يومهم قد مكنت حسن البنا من تعبئة وتجنيد الآلاف من الفقراء الذين يجدون في الدين الإسلامي وصفة سحرية لتحسين أوضاعهم المعيشية، أوعاملا يخرجهم من حالة الإحباط والشعور بالظلم التي يمرون بها، فالمنهج الإسلامي يتصف بالشمول والعموم لمختلف أوجه الحياة، كما سوق له من خلال منظري الفكر الديني، والذين شكل البنا أحد أهم رموزهم ما بعد تأسيس الجماعة، فليس من المستغرب أن مؤسسي الجماعة الأوائل هم من الفئات الأكثر فقراً في المجتمع: نجار وحلاق ومكوجي وسائق و جناينى وعجلاتي "(3).

لقد أراد حسن البنا لجماعة الإخوان المسلمين، التي قرر تشكيلها، أن تحارب مظاهر الفقر والعوز والحاجة المتفشية في المجتمع، مركزاً على ضرورة التخلص من المظاهر الاجتماعية السلبية والآفات المنتشرة، والتي تعطي صورة مغايرة للمجتمع المسلم الذي ينشد تحقيقه، ويهدف لبلوغه من خلال الجماعة الجديدة التي ينوي تأسيسها، والتي آلت على نفسها أن

([2]) أنظر: بوجحفة، رشيدة: حركة الإخوان المسلمين وعلاقتها بالسلطة: دراسة مقارنة: مصر والجزائر. مركز الكتاب الأكاديمي. عمان، الأردن. الطبعة الأولى 2017. ص 31.

([3]) مصطفى، هالة: الإسلام السياسي في مصر من حركة الإصلاح إلى جماعات العنف. وكالة الإهرام للتوزيع. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 1992. ص 88.

تكون ممثلة لهوية الأمة الدينية، تحارب كل منكر، وتأمر بالمعروف، وتنشر قيم الإسلام وتعاليمه، "إن البغاء الرسمي لطخة عار في جبين كل أمة تقدر الفضيلة، فما بالك بالأمم الإسلامية التي يفرض عليها دينها محاربة البغاء والضرب على يد {الزاني والزانية بشدة وقسوة}. إن حانات الخمر في أظهر شوارع المدن وأبرز أحيائها، وتلك اللوحات الطويلة العريضة عن المشروبات الروحية، وهذه الإعلانات الظاهرة الواضحة عن أم الخبائث: مظاهر يأباها الدين، ويحرمها القرآن الكريم أشد التحريم. إذ أن الإباحية المغرية، والمتعة الفاتنة، واللهو العابث في الشوارع والمجامع والمصايف والمرابع، يناقض {ما أوصى به الإسلام أتباعه} من عفة وحياء وشهامة، وإباء، وانصراف إلى الجد، وابتعاد عن الإسفاف...فكل هذه المظاهر وأشباهها، على الأمم الإسلامية أن تبذل في محاربتها ومناهضتها كل ما في وسع سلطانها وقوانينها من طاقة ومجهود "(4).

وفي خضم تحليل مؤسس جماعة الإخوان المسلمين للمجتمع المصري، وعرض أوضاعه وأحواله في تلك الفترة، ومخالطة الناس والاطلاع عن قرب على شؤونهم ومشاكلهم ومعاناتهم، وضع البنا تصوراً للحالة القائمة، شخص من خلاله الأسباب والمباعث الكامنة وراء الأوضاع الاجتماعية السيئة، والآليات التي يمكنها أن تقضي على هذه المشاكل وترسخ بنية المجتمع الإسلامي المنشود في نفس الوقت. ووجد البنا بأن الاحتلال البريطاني هو القوة الخارجية التي استطاعت أن تنشر مظاهر الفساد والانحلال بين الناس، وأن تحميها، كما أنه هو من يوطد التقسيم الطبقي الظالم في المجتمع المصري، ويحمي الملاك والأغنياء، على حساب عامة الشعب، ومن هنا فقد "جاء الإنجليز إلى مصر عام 1882 م، وحلوا على أهلها ضيفاً ثقيلا، بل عدواً ماكراً خبيراً، وعملوا على إقصاء الشريعة الإسلامية عن كل جوانب الحياة فيها، بما في ذلك جانب التعليم ...لقد عمل الإنجليز على إنماء التعليم العلماني ـ كما صرح لويد من قبل ـــ وتوسعوا فيه لينافس الأزهر الشريف، وجعلوه في قبضة أيديهم، وتحت نفوذهم وسيطرتهم، فجاؤوا برجل صليبي حاقد يسمى دنلوب، وأسندوا له منصب مستشار وزارة التعليم، ليفسد كما شاء، وليضع للتعليم سياسة تحقيق أهداف المستعمر الصليبي "(5).

([4]) البنا، حسن: مجموعة رسائل الإمام البنا. مصدر سبق ذكره. ص 59 و60.

([5]) إسماعيل علي، محمد: الغزو الفكري: التحدي والمواجهة. دار الكلمة للنشر والتوزيع. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 2013. ص 29.

وجراء الاحتلال البريطاني، والذي سيطر على الدولة ومرافقها، وعمل على نشر قيم وعادات مغايرة للعادات السائدة والمعمول بها في المجتمع المصري، انتشرت الآفات والأمراض الاجتماعية التي نذر حسن البنا نفسه للتصدي لها، وكانت إحدى الأسباب وراء قراره تأسيس جماعة الإخوان المسلمين، "دخلت في هذه الفترة إلى المجتمع المصري بعض العادات والتقاليد التي لم يتقبلها جمهور المصريين، مثل انتشار حانات الخمر ودور الملاهي الليلية ودور البغاء وأوراق اليانصيب، وزادت دور السينما والمسارح الليلية، وامتلأت صفحات المجلات بنقل أخبار الممثلين والممثلات والمغنيات والراقصات، ودخلت الفتاة العارية مدرسة الفنون الجميلة، فلقيت ترحيباً زاد عن زميلتها المحجبة، وكثرت الترجمة للقصص الخليعة والمذاهب الأدبية الهدامة والمعادية للدين، وكثرت حفلات الرقص في بيوت الأغنياء. وشاركت الصحافة في إشاعة موجة التحلل الأخلاقي التي اجتاحت المجتمع المصري. ففي الوقت الذي دعت فيه مجلة (الهلال) إلى فوائد "مذهب العري"، وإلى اختلاط الجنسين في التعليم. كتبت (السياسة الأسبوعية) عن الخمر والرقص. ووجد "الشيخ" الذي يكتب على صفحاتها مقالا في أعياد الميلاد دون عيدي الهجرة والمولد النبوي. وإذ نشأت الإذاعة المصرية أواخر العشرينيات على أيدي مجموعة من الأجانب، فلا شك أنها ركبت هذه الموجة "(6).

وعلاوة على العادات الجديدة التي رسختها سلطات الاحتلال البريطاني داخل طبقات المجتمع المصري، دون مراعاة للخصوصية الدينية ولقيم الجماهير، فقد جاءت بعثات تبشيرية مسيحية إلى مصر، برعاية وحماية بريطانية، وتغلغلت في العديد من المناطق الفقيرة في البلاد، وبشكل خاص في الريف المصري. وقد شخص حسن البنا هذه الحالة ورفضها بشكل قاطع، وعدها أحد الأسباب التي تقف وراء تأسيس جماعة الإخوان المسلمين، لمحاربة التبشير، سيما وان السلطات المحلية تذعن لطلب الحكومة وتعليمات الاحتلال البريطاني بتسهيل مهام هذه البعثات والسماح لها بالتجول والعمل في كل مكان، "انتشر المبشرون في أنحاء البلاد في الوجهين البحري والقبلي، في المدن والقرى تحت سمع المسؤولين من الحكام وبصرهم. بل إن هؤلاء الحكام في المدن والقرى كانوا، بحكم تعليمات رؤوسائهم، يسهلون للمبشرين وسائل دخول المدن والقرى، كما يسهلون لهم وسائل الاتصال بالأهالي وإجراء ما يشاءون من إجراءات بل وإقامة ما يشاءون من منشآت بل واختطاف من يشاءون من أطفال ونساء، في الوقت الذي يضربون فيه بيد من حديد كل من

([6]) عبد الرحمن محمد البنا، فؤاد: الإخوان المسلمون و السلطة السياسية في مصر. مركز البحوث والدراسات الأفريقية ـ جامعة أفريقيا العالمية. الخرطوم، السودان. الطبعة الأولى 1994. ص 29.

تســول له نفســه أن يعترض ســبيل هؤلاء الغزاة، ولو بكلمة معتبرين ذلك اعتداء على الحكومة...صار هذا الشعب نهباً مباحاً لهؤلاء المبشرين "(7).

أما مؤسسة الأزهر، المشيخة الإسلامية السنية المعروفة على صعيد العالم الإسلامي، فقد تعرضت للنقد والهجوم من جانب البنا ورفاقه في جماعة الإخوان المسلمين، لأنها، حسب هؤلاء، لم تقم بدورها في نشر الوعي الإسلامي ورفض مظاهر التغريب والانحلال المنتشرة في المجتمع المصري، "أما الأزهر، وهو المصدر الوحيد الذي يتلقى الناس منه تعاليم دينهم، فإنه كان أداة طيعة في يد المســتعمر عن طريق الحكام، نشــر في الناس صــورة باهتة مشوهة للإسلام، فكان معنى الإسلام في نظر الناس بفضل الأزهر لا يتعدى طقوساً تؤدى داخل المساجد أو في البيوت، وكادت الاستكانة تكون مرادفة للإسلام في نظر الناس"(8).

وجراء هذا التشخيص للظروف الاجتماعية السائدة في مصر في تلك الفترة التي شهدت التحضير لتأسيس جماعة الإخوان المسلمين، والتوقف على دقائق المجريات والأحداث، طرح البنا تصوراً أوليا لماهية الجماعة الإسلامية التي يخطط لتأسيسها لتكون المنقذ للمصريين من هذا الوضع، ولتحل محل المؤسسات الحاكمة "الخانعة والفاسدة"، والمتعاونة مع سلطات الاحتلال البريطاني. لقد تعرض البنا في خطبه ورسائله إلى ما يعانيه المجتمع المصري من انتشار كبير لمظاهر التغريب والمادية، وغياب التمظهر الإسلامي، مع حضور بسيط للطقوس الإســلامية عبر الأزهر وغيره. وبناء على هذا التحليل لحال المجتمع، وضــع البنا ورفاقه في جماعة الإخوان المسلمين، تصوراً أولياً للتعامل مع الوضع، ما لبث أن تطور إلى منهاج عمل أولي/داخلي للجماعة، في سياق رسالة الجماعة في محاربة كل فكر تغريبي/تحديثي وكل مظهر غير إسلامي، وكل رأي مهادن للسلطة والاحتلال، بغية نشر فكر الجماعة الرامي إلى أسلمة المجتمع والحياة الاجتماعية بشكل كامل، وإحلال البديل الجديد، الذي تمثله الجماعة وفكرها هنا، محل القديم المرفوض من مظاهر التغريب والتبشــير ونشــر الحانات والمراقص وصالات المسارح والسينما، وغيرها من تطبيقات السلطات المحلية وقوة الاحتلال البريطاني. وعليه فإن الإخوان وضــعوا برنامجاً للتعامل مع تطورات ومظاهر تلك الفترة، و" أهم ما تميز به البرنامج كان:

([7]) عبد الحليم، محمود: الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ. رؤية من الداخل. الجزء الأول. دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع. الاسكندرية، مصر. الطبعة الخامسة 1994. ص 59.

([8]) المصدر نفسه ص 56.

1ـ الاهتمام بنشر الفكرة الإسلامية بصورة عامة بين مختلف طبقات المجتمع المصري.

2ـ التوسع في ضم أنصار الفكرة الإسلامية وافتتاح الشعب الجديدة.

3ـــ التركيز على شرح الدعوة في اللقاءات العامة، لذلك كثرت رحلات وزيارات الإمام الشهيد، كما كثرت احتفالات الإخوان المسلمين العامة.

4ـــ الاهتمام بالإصلاح الاجتماعي والاقتصادي وتجنب التعرض للخلافات السياسية القائمة في تلك الفترة والانشغال بنشر الفكرة وتثبيت المفاهيم.

5ـــ المساهمة في أعمال الخير، كعمارة المساجد ومساعدة الفقراء والنصح، وذلك بكتابة المذكرات الإصلاحية التي تقدم إلى الحكام والمسؤولين في هذه الفترة لشرح الفكرة وتقديم ما يراه الإخوان من رؤى وبرامج للإصلاح"(9).

ب: الظروف الاقتصادية:

تميز الاقتصاد المصري في الفترة التي شهدت نشأة جماعة الإخوان المسلمين بالتأخر والتخلف، حيث وسائل الإنتاج البدائية، وسيطرة طبقة غنية مستأثرة بالثروة، مقابل الأغلبية العاملة الفقيرة والمهمشة. وثمة عدة مؤثرات أسهمت في تأخر الحياة الاقتصادية المصرية وترديها، ومن أهمها: الاحتلال البريطاني، واندلاع الحرب العالمية الأولى، وبروز النزعة الوطنية الراغبة في وضع لبنات اقتصاد وطني حديث، غير مرتبط بالاستعمار والاحتكارات الدولية، يضمن نوعاً من العدالة في توزيع الثروة والاستفادة منها. ويمكن القول بأن "الأوضاع الاقتصادية في مصر إبان ظهور البنا وجماعته كانت تتسم بعدة سمات، أهمها:

1ـــ استمرار سيطرة الشركات الأجنبية على الاقتصاد المصري، وعن ذلك يذكر البنا: شركات الاحتكار في مصر وضعت يدها على مرافق الحياة والمنافع العامة، كالنور، والمياه، والملح، والنقل، ونحوها كلها في يد هذه الشركات. عدد الشركات المصرية إلى سنة 1938 بلغ إحدى عشرة شركة فقط، مقابل 320 شركة أجنبية.

2ـ استمرار ارتباط الاقتصاد المصري بالاقتصاد البريطاني.

3ـــ استمرار اعتماد الاقتصادي المصري على الزراعة، والاعتماد على محصول رئيسي واحد هو القطن، في الوقت الذي اتجه الوضع في الريف إلى تركيز الملكيات الزراعية في يد فئة

([9]) عبد العزيز، جمعة أمين: الإخوان والمجتمع المصري والدولي في الفترة من 1928 ـ 1938. دار التوزيع والنشر الإسلامية. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 2003. ص 12.

قليلة، لم تعبأ باستخدام الأساليب الفنية في الزراعة، مما أدى إلى إجهاد الأرض وفقدها لخصوبتها مع مرور الأيام"(10).

وفي خضم التحليل والتفسير للتأخر الاقتصادي، لم يتوقف الإخوان المسلمون على تخلف قطاع الاقتصاد المصري، ولا على سيطرة البريطانيين وفساد طبقة الحكم المحلي، وتأخر المؤسسات وآليات الإنتاج، فقط، بل ركزوا على المظاهر التي يرفضها الإسلام، مثل الربا، باعتبارها من العوامل التي أسهمت في انهيار الوضع الاقتصادي وانتشار الفقر واللاعدالة، رغم كون هذه العوامل ثانوية، "لقد علمتنا التجارب وعرفتنا الحوادث أن داء هذه الأمم الشرقية متشعب المناحي، كثير الأعراض، قد نال من كل مظاهر حياتها، فهي مصابة في ناحيتها السياسية بالاستعمار من جانب أعدائها، والحزبية والخصومة والفرقة والشتات من جانب أبنائها. وفي ناحيتها الاقتصادية بانتشار الربا بين كل طبقاتها، واستيلاء الشركات الأجنبية على مواردها وخيرتها"(11).

وعليه فالملاحظ بأن البنا يحاول استثمار الأوضاع الاقتصادية المتردية والمتخلفة لأكثر من سبب واعتبار، فهو، وخلال تحليله للأوضاع الاقتصادية في البلاد ومحاولة معرفة أسباب التأخر والانحطاط، يركز بشكل مبالغ فيه على الجوانب التي ترفضها الشريعة مثل الربا وتجارة الخمور، وذلك بغية التعبئة والتجييش لصالح جماعته. فالبنا ورفاقه يقدمون الجانب الديني على الجوانب الأخرى حين تلمس العوامل المساهمة في تأخر الحياة الاقتصادية المصرية. هناك ربط بالجانب الديني، وجعل الشأن الاقتصادي من أولويات مسؤوليات واهتمامات الجماعة، "الأمة الناهضة أحوج ما تكون إلى تنظيم شؤونها الاقتصادية، وهي أهم الشؤون في هذه العصور، ولم يغفل الإسلام هذه الناحية بل وضع كلياتها ولم يقف أمام استكمال أمرها "(12).

وجاءت قراءات البنا للأوضاع الاقتصادية المتردية في زمنه، وزمن تحضيره واستعداداته لتأسيس جماعة الإخوان المسلمين والبحث عن الأسباب الموجبة لظهورها، شاملة لم تقتصر فقط على الساحة المصرية، بل تعدتها إلى عموم بلاد المسلمين. البنا كان يركز دائماً على

([10]) بوجحفة، رشيدة: حركة الإخوان المسلمين وعلاقتها بالسلطة: دراسة مقارنة: مصر والجزائر. مصدر سبق ذكره. 2017. ص 36 و37.

([11]) البنا، حسن: مجموعة رسائل الإمام البنا. مصدر سبق ذكره. ص 143.

([12]) المصدر نفسه، ص 163.

تحليل المسائل والأوضاع من وجهة النظر الإسلامية. حتى الأوضاع الاقتصادية والتأخر الاقتصادي ومعاناة الناس زمن تأسيس الجماعة، كان ينظر إليها نظرة إسلامية شاملة، غير آبه كثيراً بالسياق الزماني والمكاني للحدث، وعليه "قرأ الإمام التاريخ بعيني قائد يبحث عما يعينه على إنجاز مشروعه. فدرس بدقة الأطوار التي مرت بها الأمة، من طور ميلاد الدعوة بمرجعية محددة وأصول فكرية وعملية للتغيير الشامل شديدة الوضوح، وطور قيام الدولة الإسلامية على أسس النظام القرآني، وطور تحلل كيان الدولة الإسلامية، وطور التدافع السياسي، والذي أدى إلى تمزيق الدولة الإسلامية (العثمانية) باسم الاحتلال و"الاستعمار" والانتداب والمصالح، ثم كفاح الأقطار الإسلامية لهذا الغزو الاستعماري، ونيل بعضها للاستقلال، ثم أخيراً طور التدافع الاجتماعي والاقتصادي، والذي أدى إلى الثورة الصناعية في أوروبا نتيجة النهضة العلمية الحديثة، وإلى غزو بلاد الإسلام ونقل الحياة المادية إليها وفرض السيطرة الاقتصادية عليها، ثم أخيراً طور اليقظة والإنقاذ"(13).

وهكذا نجد كيف أن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في مصر قد أثرت بشكل كبير على شخصية حسن البنا ودفعته إلى التفكير في تأسيس جماعة إسلامية أصولية تهدف إلى تغيير هذا الواقع المزري، الذي عده البنا نتيجة طبيعية لسياسة النخب الحاكمة والاحتلال البريطاني، في تغييب الإسلام وإقصائه من حياة البلاد والعباد. وكان البنا يشير في خطبه ومواعظه إلى حالة البؤس والتراجع وسوء الأحوال الاقتصادية وانتشار مظاهر الفساد والجهل، كتشخيص حالة يستوجب العلاج السريع والناجع، والذي قدمه هو في شكل جماعته الأصولية، التي أراد لها أن تكون شاملة وجامعة تنشد التغيير البنيوي في كل مناحي وجوانب الحياة.

ج ـ الظروف السياسية:

تميزت الحياة السياسية في مصر إبان ظهور جماعة الإخوان المسلمين بالاضطراب واللاستقرار، حيث أسهمت عدة عوامل، داخلية وخارجية، في تردي الأوضاع السياسية في البلاد، وانتشار الظلم والعسف بحق المواطنين، واحتكار الطبقة العليا للعمل السياسي، والصراع الدائم بين الأحزاب ومراكز القوى، وغياب المشاركة الجماهيرية، وانعدام الشفافية وغياب الانتقال السلمي للسلطة. إن وجود هذا الواقع المضطرب، ووقوع البلاد تحت الاحتلال

([13]) الغزالي، عبد الحميد: الفكر الاقتصادي عند الإخوان المسلمين: فكر الإمام المؤسس وبعض من سار على دربه. دار النشر للجامعات. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 2007. ص 17.

البريطاني، وفساد النظام الملكي وحاشيته، إضافة إلى انتشار المظاهر الاجتماعية التي اعتبرها حسن البنا والإخوان منافية للدين ولتقاليد الشعب المصري المتدين، أدى إلى تبلور فكرة تشكيل جماعة دينية، سياسية، اجتماعية في ذهن حسن البنا ورفاقه.

ومن خلال تحليل الأوضاع السياسية العامة في مصر في مطلع القرن العشرين وإلى عام 1928، العام الذي أسس فيه البنا جماعة الإخوان المسلمين، يمكن استخلاص "عدة حقائق منها:

1ـــ ظهورالشيخ حسن البنا في وقت يسوده وضع سياسي متدهور: محتل غاشم مستبد، وملك متسلط، وأحزاب متناحرة نفعية، وشعب تنتشر بين صفوفه الأمية والجهل، وإن كان متديناً بفطرته متطلعاً لرجل فذ يفهم ذلك الوضع ويقود الناس إلى طريق خلاصهم وسعادتهم، وكان حسن البنا منذ حداثة سنه يفهم ما يدور حوله، ويشارك بجهده الصغير في طريق الخلاص للشعب المنكوب.

2ـ تأثر جماعة الإخوان بالقوى السياسية الفاعلة في مصر ـ مثل الإنجليز والأحزاب ـ وتفاعلها مع الأحداث السياسية المتجددة وقتذاك، مما كان له أكبر الأثر في نشأتها وتطورها من حيث الأهداف والفكر والحجم

3ـــ نظام الحكم الإسلامي كان منعدماً، وإذا أضيف إلى ذلك إلغاء الخلافة الإسلامية نهائياً عام 1924، والذي كان له وقع شديد الأثر في مصر، حيث أوجدت حاجة ملحة لأن يعمل الناس من أجل إعادة الدولة الإسلامية ذات الاستقلال، والحكومة الإسلامية ذات السيادة، والخلافة الإسلامية الضائعة.

4ـــ برزت عدة قضايا أساسية تحتاج من يقوم بالتوعية بها منها قضية التحرر من الاستعمار، وقضية الحكم الإسلامي، وقضية الحريات، وقضية فقدان الأمل في الحكومات والأحزاب لكي تقوم بهذه المهمة، فانبرت جماعة الإخوان من بين الصفوف تعرف الناس بذلك"(14).

وعليه نستطيع أن نتحدث عن عاملين مهمين ضمن الظروف السياسية التي أسهمت بشكل رئيسي في ظهور ونشأة جماعة الإخوان المسلمين، وهذان العاملان هما: العامل الخارجي والعامل الداخلي:

([14]) بوجحفة، رشيدة: حركة الإخوان المسلمين وعلاقتها بالسلطة: دراسة مقارنة: مصر والجزائر. مصدر سبق ذكره. ص 29 و30.

1ـ العامل الخارجي:

ويتمثل في حدثين مهمين هما: الاحتلال البريطاني وسقوط السلطنة العثمانية. أما الاحتلال/الاستعمار البريطاني لمصر (1882 ـــ 1956) فقد تدخل في شؤون البلاد وتحكم، طيلة فترة وجوده، في كل مظاهر الحياة، مصادراً السيادة وحق القرار وإدارة البلاد وثرواتها. لقد أحكم الاحتلال البريطاني السيطرة على مصر عسكرياً واقتصاديا واجتماعيا، ونشر مظاهر وجوده السياسي والعسكري في كل مناحي الحياة. كما تحكم البريطانيون بالجيش المصري وبقوة الشرطة والأمن، وكانت كل مرافق ومؤسسات الدولة واقعة تحت عيون وسيطرة ممثلي الاحتلال البريطاني. وكان المسؤولون البريطانيون يمارسون الوصاية على كل مرافق ومؤسسات الجيش وقوى الشرطة، في انتهاك واضح للسيادة في هذه المؤسسات المفصلية الحساسة. كذلك بدت السيطرة الأجنبية، وخصوصاً البريطانية، على الاقتصاد وموارد الدولة واضحة للعيان، حيث كان"الأجانب الذين احتلوا هذا الوطن بغفلة من أهله، وتساهل من حكامه، وظلم من غاصبيه، أسعد حالا من أهله وبنيه، وأنهم قد وضعوا أيديهم على أفضل منابع الثروات فيه، شركات أو أفراداً. فالصناعة والتجارة، والمنافع العامة، والمرافق الرئيسية، كلها بيد هؤلاء الأجانب"(15).

لقد كان للسيطرة البريطانية على قناة السويس والبنك الأهلي، وبالتالي أغلب مفاصل الاقتصاد المصري، أبلغ الأثر في نفس حسن البنا، وساهم في تشكيل وعيه السياسي. إذ أن تحكم الاحتلال البريطاني بالاقتصاد ومصادر الثروات وحركة التجارة والسوق، أدى إلى تحكمه بالسياسة أيضا، وبالتالي إدارة البلاد بشكل غير مباشر والتأثير في قرارات الحكومات المتعاقبة. وكان الاحتلال البريطاني يرسخ تواجده في مصر، ويتمسك بالبلاد باعتبارها مستعمرة باقية بيده، حيث كانت هناك مصالح إقليمية ودولية كبرى لبريطانيا عبر البقاء في مصر واستثمار موقعها ومواردها في تسيير شؤون المستعمرات الاخرى، "أن سياسة الاحتلال الإنجليزي القائمة على إبقاء مصر خاضعة بالكامل لسياسة المحتل وأداة لتحقيق مصالحه الاستعمارية وحماية خطوط ملاحته إلى الهند وتدمير كل مظاهر الحياة النيابية والتعددية في مصر دون الاكتراث بأوضاع المصريين وحقوقهم وأوضاعهم المعيشية

(15) البنا، حسن: مجموعة رسائل الإمام البنا. مصدر سبق ذكره. ص 705 و706.

المتردية، قد أسهم في تشكيل الوعي الوطني والديني للقوى المصرية، سواء كانت وطنية التوجه قومية الشعور أم إسلامية الأهداف والرؤى"(16).

لقد رفض المصـريون الاحتلال البريطاني وسـيطرته على مقاليد وثروات البلاد، وتأطروا في الأحزاب والجمعيات والقوى السـياسـية، مختلفة التوجهات والمنطلقات الأيديولوجية، للنضـال بغية إنهاء الاحتلال والحصـول على الاسـتقلال. وظهر الاتجاه الإسـلامي الرافض لسـيطرة دولة غربية غير مسـلمة على مصـر وشـعبها المسـلم. وكان حسـن البنا أحد أهم منظري هذا الاتجاه، وعمل على جذب الشـباب المسـلم إلى فكره، عبر التركيز على مثالب ومسـاوئ الاحتلال البريطاني، داعياً الشـباب المسـلم إلى الانخراط في صـفوف الدعوة المتمثلة بالإخوان المسـلمين، بغية طرد المسـتعمر وتحرير البلاد والعباد من نيره. وقد أشـار حسـن البنا في رسـائله إلى تأثير واقع نهب الاحتلال البريطاني لخيرات مصـر، ومظاهر هذا الاحتلال البادية في كل مكان، على شـحذ همة الجماهير، وتغذية دعوة الإخوان المسـلمين، ودفع الناس إلى احتضـانها، "أما سـرعة الدعوة في القرى والمدن، فقد قدمت لكم أن الدعوة نشـأت في الإسـماعيلية، وترعرت في جوها الصـافي، ودرجت على رمالها الممتدة الجميلة، يغذيها وينميها ما ترى كل صـباح مسـاء من مظاهر الاحتلال الأجنبي، والاسـتئثار الأوروبي بخير هذا البلد، فهذه قناة السـويس علة الداء وأصـل البلاء، وفي الغرب المعسـكر الإنجليزي بأدواته ومعداته، وفي الشـرق المكتب العام لإدارة شـركة القناة بأثاثه ورياسـته وعظمته ومرتباته، والمصـري غريب بين كل هذه الأجواء في بلده محروم وغيره ينعم بخير وطنه، والأجنبي يعتز بما يغتصبه من موارد رزقه، كان هذا الشعور غذاء جميلا، ومداداً طيباً لدعوة الإخوان"(17).

أما الحدث الثاني فكان سـقوط السـلطنة العثمانية عام 1924، والتي كانت تعتبر نفسـها خلافة تمثل المسـلمين كافة وفي كل أمصـارهم. لقد فقد المسـلمون المرجعية الفكرية والسـياسـية، وهو الأمر الذي أدى إلى خلق نوع من الفوضـى وفقدان بوصـلة التوجه، وظهور الاضـطراب الفكري، حيث طفت الاجتهادات على السـطح، وبرزت التيارات والجماعات الدينية التي تنشـد إعادة الخلافة وإحيائها، ومن بينها جماعة الإخوان المسـلمين، حيث المسـعى

([16]) دبعي، رائد محمد عبد الفتاح: أساليب التغيير السياسي لدى حركات الإسلام السياسي بين الفكر والممارسة: الإخوان المسلمين في مصر نموذجا. أطروحة ماجستير مقدمة إلى كلية العلوم السياسية بجامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين. العام الدارسي 2012. ص 43.

([17]) البنا، حسن: مجموعة رسائل الإمام البنا. مصدر سبق ذكره. ص 344.

لبناء العالمية الإسـلامية من جديد. لقد كان لانهيار السـلطنة العثمانية أبلغ الأثر في نفس حسن البنا وجماعته، وكان أحد البواعث المهمة وراء قرار تأسيس جماعة الإخوان المسلمين، حيث نذر البنا نفســه بحمل لواء النضــال والعمل المســتمر بغية إحياء الخلافة الإســلامية مجدداً، وتوحيد العالم الإسلامي، "لقد وسع الإسلام حدود الوطن الإسلامي، وأوصى بالعمل لخيره، والتضحية في سبيل حريته وعزته، فالوطن في عرف الإسلام يشمل:

1ـ القطر الخاص أولا.

2ـ ثم يمتد إلى الأقطار الإسلامية الأخرى فكلها للمسلم وطن ودار.

3ـ ثم يرقى إلى الإمبراطورية الإسلامية الأولى التي شادها الأسلاف بدمائهم الغالية العزيزة، فرفعوا عليها راية الله، ولا تزال آثارهم فيها تنطق بما كان لهم من فضــل ومجد، فكل هذه الأقاليم يسأل المسلم بين يدي الله تبارك وتعالى: لماذا لم يعمل على استعادتها؟.

4ـ ثم يسمو وطن المسلم بعد ذلك كله حتى يشمل الدنيا جميعاً"(18).

2ـ العامل الداخلي:

ويضــم العديد من العوامل منها الصــراع بين الحداثيين والتراثيين، وفســاد الحكم والملك، وحملات التغريب والتبشير بالمسيحية، والدعوات إلى القومية العربية والقومية الفرعونية، وانتشار الفقر وتأزم الصراعات الحزبية والتخبط السياسي. ونبدأ مع الصراع الفكري بين كل من الحداثيين والليبراليين المتغربين من جهة والتراثيين المتمســكين بالأصــول والهوية الإسلامية، من جهة أخرى، فقد شهدت تلك الفترة ظهور أصوات كثيرة تطالب الأخذ بأساليب وأفكار الحضارة الغربية، وضرورة القيام بالتجديد الديني وتحكيم العقل، ووضع برامج إصلاح المؤســســات الدينية كالأزهر والأوقاف والمحاكم الشــرعية، والانفتاح على الفكر الغربي والثقافة الغربية وتنشــيط حركة الترجمة بغية نقل كتب الفكر والفلســفة والمذاهب الوضــعية الغربية إلى اللغة العربية. وأبرز من دعا لهذه الأفكار كان طه حســين وعلي عبد الرازق وسلامة موسى. لقد "شجع قرار إلغاء الخلافة على تزايد الاتجاهات العقلانية في مصر وظهور مؤلفات تنهج نهجاً علمانياً مثل كتاب "الإســلام وأصــول الحكم" للشــيخ على عبد الرازق والذي نشر في أبريل 1925، وكتاب "في الشعر الجاهلي" لطه حسين والذي ظهر سنة

(18) نفس المصدر. ص 156 و157.

1926، وقد نشأ عن ذلك نشوب معارك فكرية وتحركات محمومة من كلا المعسكرين السلفي والتجديدي استمرت حوالي العامين "(19).

وتمثلت الجهة المقابلة للاتجاه الحداثوي التغريبي، أي التراثيين التقليديين ودعاة التمسك بالنقل والهوية الإسلامية والأصول، بتشكيلة عريضة من المؤسسات الدينية ممثلة بمشيخة الأزهر، ووزارة الأوقاف، والشخصيات الإسلامية من شيوخ ومفكرين، من الذين تمسكوا بالأعراف والتقاليد الإسلامية، وتشبثوا بالهوية الدينية، معتبرين الإسلام نظام حياة وتشريع، ولا حاجة للمسلمين بأفكار وفلسفات وشرائع الغرب، ومعدين ما يطرحه الحداثويون والتجديديون العلمانيون من أفكار وتصورات ليست إلا "مؤامرة من الغرب وأعداء الإسلام". وساعد في رواج وانتشار تصور دعاة التراث من المحافظين، واقع أن معظم المنادين بالحداثة والفكر العلماني وطلاب فصل الدين عن الدولة هم من الأقباط أو من المسلمين المتغربين الذين درسوا وعاشوا في الغرب لفترات طويلة. ومن المهم القول بأن جماعة الإخوان المسلمين جاءت لكي تكون نواة وعماد جبهة الرفض هذه، ولتصنع من الدعوات الرافضة للتغريب والحداثة إطاراً عملياً منظما، ومؤسسة ممنهجة تنسق بين أفكار ومواقف هذا الاتجاه. كذلك اتسمت الحياة السياسية في مصر بالاضطراب والتصارع والتجاذب الشديد بين القوى والأحزاب الفاعلة في تلك الفترة، حيث كان عنوان المشهد هو الاتهامات المتبادلة والمعارك الفكرية والحملات الإعلامية على صفحات الجرائد والمجلات. لقد طغت النزعات الشخصية، وتصدرت مصالح كبار الملاك والباشاوات والإقطاعيين مقابل إهمال شؤون حياة الطبقة الفقيرة من فلاحين وعمال وغيرهم. هذا إضافة إلى تحكم الملك والقصر والاحتلال البريطاني بالعديد من الأحزاب وتدخلهم في اللعبة السياسية لصالح أطراف معينة ضد أطراف أخرى، والمؤامرات التي كانوا جزءا منها وتعيق التحول الديمقراطي وخدمة المواطنين، "كان القصر حريصاً على التمسك بالديكتاتورية إلى أبعد حد واستغل في هذا الوقت أحزاب الأقلية. ومن المنطلق كانت أحزاب الأقلية (الهيئة السعدية، الأحرار الدستوريون، الكتلة الوفدية) دمى في يد مولانا يحركها كما يشاء. ولم تحاول أي من هذه

(19) يوسف، السيد: الإخوان المسلمون وجذور التطرف الديني والإرهاب في مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 1999. ص 44.

الأحزاب النضال ضد مولانا أو ضد الاحتلال لتثبيت معالم الديمقراطية، والتي كانت في ذلك الحين مقيدة بعدة قيود مثل قصر حق الانتخابات على من يدفع ضريبة معينة "(20).

أما فيما يخص استلهام الإسلام، كدين وهوية، وتضمينه في برامج العمل والتطبيق، فلم تلجأ الأحزاب السياسية إلى ذلك. وغاب الإسلام وتشريعاته ومصادره عن برامج واهتمام ورعاية الأحزاب السياسية، وكان الخطاب الحزبي السائد على الساحة المصرية عبارة عن "تنويعة" من التوجهات الاشتراكية والأيديولوجيات الوطنية أو الليبرالية/التغريبية أو القومية (سواء عربية أو فرعونية). ولم يكن هناك خطاب حزبي سياسي إسلامي أو تراثي. ومن هنا فلم "يكن لدى الأحزاب أي حس إسلامي، ولا نجد في برامجها أي إشارة إلى الإسلام. ولم تكن مواقفها متجاوبة ــ بل لعلها كانت متجافية ــ مع الإسلام. وفي ظل حكم الأحزاب اعتمد الاقتصاد الرأسمالي الربوي، والديمقراطية الليبرالية والتحررية الاجتماعية، كمثل عليا للنظام. ولم تقم محاولة واحدة لاستلهام الإسلام. ولم يظهر الإسلام على خريطة البرامج التعليمية إلا بصورة تافهة. ولم يظهر التاريخ الهجري إلا بعد التقويم الميلادي. ولم تظفر اللغة العربية بما تستحقه. وكان يمكن لمسيرة الليبرالية أن تسير على عواهنها، وتمضي إلى غاياتها لولا ظهور دعوة الإخوان المسلمين "(21).

لقد فشلت الأحزاب المصرية في تمثيل مصالح الجماهير والدفاع عن حقوقها، وخصوصا الفلاحين والفقراء من عامة الشعب، الذين لم يكن لهم صوت يدافع عنهم ويحمل هم حل مشاكلهم. لقد اتسمت هذه الأحزاب والقوى السياسية بالفساد والمحسوبية والدفاع عن مصالح وامتيازات الملاك والإقطاع وأصحاب رؤوس الأموال وعن القصر والحاشية، والانصياع لأوامر المحتل البريطاني. كما أهملت الأحزاب والقوى السياسية المصرية الهوية الإسلامية للشعب المصري، ولم تهتم بالشريعة بوصفها مصدراً، أو إحدى مصادر التشريع. ووجدت جماعة الإخوان المسلمين في هذا الواقع الفرصة المناسبة لاستغلاله والاستفادة من الظروف ومن غضب وحنق الجماهير، في التصدر بصورة يظهرها كمدافعة عن مصالح وهموم وهوية الشعب. أما فيما يخص القصر وشخص الملك، فتميز موقف الإخوان بالمهادنة ومحاولة الاقتراب والتودد من البلاط، بغية التأثير على الملك، والعزف على وتر طموحاته

([20]) متولي، محمود: مصر والحياة الحزبية والنيابية قبل سنة 1952: دراسة تاريخية وثائقية. دار الثقافة للطباعة والنشر. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 1980. ص164.

([21]) البنا، جمال: رسالة إلى الدعوات الإسلامية من من دعوة العمل الإسلامي. دار الفكر الإسلامي. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 1991. ص 10.

في إعلان نفســه خليفة على المســلمين في العالم، بعد انهيار الســلطنة العثمانية، للاقتراب منه والتأثير فيه، "لم يرفض الإخوان الملكية كنظام حكم في تلك الفترة ولكنهم كانوا يرون أن يكون الملك بالاختيار والمبايعة لا الوراثة، ولكن هذا الرأي لم يظهر في عهد الملك فؤاد نظراً لاهتمام الإخوان بتعريف الناس بدعوتهم والعمل على الإصــلاح الاجتماعي والنهوض بالمجتمع، ولكن ظهر في عهد الملك فاروق عندما حضــروا الاحتفالات بتنصــيبه وتوليه سلطاته الدستورية، فكان من هتافاتهم "نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله"، فلم تكن بيعة على بياض"(22).

والواقع أن حســن البنا كان يرنو إلى العمل مع القصــر والملك، وتقديم الظهير الشــرعي الإسـلامي له، بوصـفه ولي الأمر، وبذلك الحظو بمكانة معتبرة لدى الملك والقصـر والحكومة، ليكون له وللجماعة اليد الطولى في إدارة شــؤون المجتمع والإشــراف على مناحي ومظاهر الحياة، والنجاح بعد ذلك في تمرير برنامج الإخوان في الأسلمة وتطبيق الشريعة، "بدأ حسن البنا دعوته وعينه على القصــر الملكي، وحاول أن يرتبط به على اعتبار أنه من مصــلحة العرش أن تكون جماعة الإخوان ركيزة له. كان الإخوان حريصين على إزجاء المديح للملك فؤاد والثناء الدائم على سـلوكه الإسـلامي. وتوالت مراثيهم له بعد موته؟ وأشـاروا فيها إلى أنه "حامي الإســلام ورافع رايته". وقد رثته صــحيفة الإخوان بما يجذب عطف ولي عهده على أسلوب الجماعة "(23).

كـذلـك ظهر في مصــر البعثـات التبشــيريـة الغربيـة، والتي كـانـت تشــتـغل بين الفقراء والمحتاجين، محاولة فتح الكنائس والجمعيات الخيرية والمراكز المسيحية، مستغلة الأوضاع السـياسـية والاجتماعية المضـطربة في البلاد، ووجود الاحتلال البريطاني، وتغاضـى القصـر والحكومة عن النشــاط التبشــيري، "أن المبشــرين لم يعودوا يواجهون في الإســلام ماكانوا يواجهونه من قبل من ثقة ذويه بأنفسهم، وشعورهم بالكفاية الذاتية لعقيدتهم، ومن ثم لم يعد الإسلام ولا المسلمون عصيين على التبشير كما كانوا، وإن الظروف السياسية صارت أكثر مواتاة للتبشير بعد أن ألغيب القيود التشريعية والحكومية التي كانت تعوقه، وبعد أن

([22]) عبد العزيز، جمعة أمين: الإخوان والمجتمع المصري والدولي في الفترة من 1928 ـ 1938. مصدر سبق ذكره. ص 48.

([23]) علي، عبد الرحيم: الإخوان المسلمون: قراءة في الملفات السرية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 2013. ص 12.

ألغيت الخلافة الإسلامية، وآلت مقاليد الحكم في الشرق الأدنى إلى الدول الأوروبية باسم نظام الانتداب، وأسس في مصر دستور يعترف بحرية العقيدة "(24).

وقد أزعجت حركة التبشير حسن البنا وجماعة الإخوان المسلمين أيما إزعاج، وكانا يريان فيها تهديداً كبيراً للمسلمين وللدين في مصر، فحملت الجماعة ومؤسسها على عاتقيهما مهمة التصدي للتبشير، ونشر الوعي بين المسلمين بمخاطر سياسة التبشير بالمسيحية، والإشارة إلى نوايا من يقفون وراءها. وأعتبر الإخوان من بين أهم مهامهم، على الصعيد الداخلي، إفشال مهمة البعثات التبشيرية والتأثير في الحاضنة التي تستقبلها، "لقد كان لجمعية الإخوان المسلمين في حركة التبشير الأخيرة ـــ بل في كل وقت ـــ عمل جليل في دفع خطر التبشير عن المستضعفين والفقراء وأبناء الأمة، فبيوت الإخوان لإيوائهم، ودور صناعاتهم مستعدة لتعليمهم، ومدارسهم ترحب بقبولهم، ولجانهم تحذر الناس من شرور هؤلاء المضللين الذين يخادعون الناس عن عقائدهم، ويستغلون الفقر والمرض في إضلالهم وإذلالهم"(25).

كذلك حارب الإخوان الأفكار الشيوعية والاشتراكية، والتي انتعشت في مصر وغيرها من البلدان بعد انتصار ثورة تشرين الأول/ أكتوبر في روسيا عام 1917 وسقوط الخلافة الإسلامية، متمثلة بالسلطنة العثمانية. وعد البنا وجماعة الإخوان الأيديولوجيا الشيوعية من "الأفكار الهدامة"، التي تهدد هوية المصريين، وتستهدف النيل من الدين، لذلك نذروا أنفسهم لمحاربتها والتصدي لها على كافة الصعد. وكان الشيوعيون والاشتراكيون هم الجماعة التي "تقوم على الدعاية العنيفة لهذه المذاهب الهدامة، فمهدت إلى نفوس الجماهير طريق تلك الدعوات الكاذبة بتخدير الأعصاب بالوعود الباطلة والآمال الضائعة، وحذرت من أن معاناة الطبقات الفقيرة في بلادنا ستكون مرتعاً خصباً للشيوعية، وخاصة بعد ما استبدلت الآلاف من الأيدي العاملة بآلة واحدة ينعم صاحبها وحده، ما له ولبقية الناس وأن مات الكل جوعاً"(26).

كما ورفض الإخوان الدعوات الرامية إلى القومية العربية والقومية الفرعونية، وعدوها مؤامرة تستهدف المسلمين، لا ينبغي التساهل معها، بل ينبغي التصدي لها، لأنها تنطلق

([24]) عبد العزيز، جمعة أمين: الإخوان والمجتمع المصري والدولي في الفترة من 1928 ـ 1938. مصدر سبق ذكره. ص 59.

([25]) البنا، حسن: مجموعة رسائل الإمام البنا. مصدر سبق ذكره. ص 82.

([26]) عبد العزيز، جمعة أمين: الإخوان والمجتمع المصري والدولي في الفترة من 1928 ـ 1938. مصدر سبق ذكره. ص 106.

من حقد على الإسلام، ورغبة في تمزيق العالم الإسلامي الواحد وتقسيمه إلى دول مشتتة ضعيفة، "وكما ابتدع نصارى الشام التنادي بالقومية العربية، لحق بهم في مصر من تنادى بالفرعونية، وفي سوريا من دعا إلى الفينيقية، وفي العراق إلى الآشورية، وفي المغرب العربي إلى البربرية، بل وفي تركيا نفسها إلى الطورانية، كل ذلك لا تحركه غيرة قومية، بمقدار ما يحركه حقد على الإسلام، ورغبة في تمزيق وحدة العالم الإسلامي، وتحويله إلى أمم، والأصل فيه أن يكون أمة واحدة "(27).

وبناء على ما سبق نجد بأن جماعة الإخوان المسلمين، في تأسيسها ونشأتها، قد وقعت تحت تأثير الظروف السياسية والصراعات الحادثة في الساحة السياسية في البلاد. ويظهر من خلال ما ذكرناه اعتبار الجماعة نفسها مسؤولة عن العالم الإسلامي، ومعنية بما يحدث للمسلمين في العالم كله. فانهيار السلطنة العثمانية، وانتشارالأيديولوجيات الوضعية بين المسلمين، كان يزعج الإخوان والبنا، ويدفعهما إلى وضع برامج تتعامل مع هذا الواقع. هذا إضافة إلى الاحتلال البريطاني لمصر وتفشي الفساد في الحكم والسياسة، وظهور نزعات التغريب والتبشير، واحتضان الأفكار والمذاهب السياسية والفكرية والفلسفية الغريبة عن واقع وشريعة المسلمين.

([27]) عبد الحليم محمود، علي: وسائل التربية عند الإخوان المسلمين: دراسة تحليلية تاريخية. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. المنصورة، مصر. الطبعة الرابعة 1990. ص 37.

ثانياً: شخصية حسن البنا:

حسن البنا (1906 ـــ 1949) هو مؤسس جماعة الإخوان المسلمين ومرشدها الأول، وكان، ولا يزال، مرجع الجماعة الأكبر، وله الأثر الأبلغ في عمل وحراك جماعة الإخوان المسلمين، وكل الجماعات والحركات والأفرع التي تشعبت منها، فأفكار البنا وسيرته وتعاليمه ورسائله وفتاويه وآرائه، تعتبر من الثوابت، أو من "المنطلقات النظرية" لهذه التنظيمات ولمجمل الإسلاميين السائرين في نهجها. وتطلق عليه جماعة الإخوان المسلمين لقب "الإمام الشهيد"، إضافة إلى صفات أخرى مقدسة تلحق بالرجل من قبل أنصاره ومشايعيه في كل العالم. سوف نركز على المرحلة الأولى من حياة حسن البنا، أي مرحلة التنشئة والتأثير والتأثر، والتي أسهمت في تبلور شخصيته وبروز معالم تفكيره وتوجهه السياسي والديني، وبالتالي في تحديد العوامل التي أثرت في قراره تأسيس جماعة الإخوان المسلمين، واعتبارها وسيلة وأداة للوصول إلى الحكم والإمساك بمقاليد السلطة في الدولة المصرية، بغية تطبيق الشريعة الإسلامية وأسلمة الحياة الاجتماعية والسياسية ومؤسسات الدولة، الإدارية والتشريعية، ومن ثم الانطلاق إلى مجمل العالم الإسلامي، بهدف توحيد أصقاع هذا العالم وإقامة الخلافة الإسلامية المنشودة.

أـ البدايات والتأثر:

ولد حسن البنا الساعاتي في قرية المحمودية، وهي إحدى قرى محافظة البحيرة في مصر، في شهر تشرين الأول/ أكتوبر عام 1906. وكان والد البنا أزهريا، ويحظى بمكانة في قريته، ويتولى عدة مسؤوليات دينية، بالإضافة إلى إشرافه على رعاية عائلة كبيرة. ودرس حسن البنا مرحلة الكتاب (حفظ القرآن) والابتدائية في مدرسة القرية، وانضم في تلك الفترة إلى الطريقة الحصافية الصوفية. وكانت هذه الطريقة نشطة في القرية، من ثم انتقل إلى المدرسة الإعدادية، حيث التحق فيها ب (جماعة الأخلاق الأدبية)، وهي جماعة استهدفت ترويض نفوس أعضائها من التلاميذ، وإلزامهم بالتحلي بالأخلاق الحميدة والتعفف، وكانت الجماعة تفرض غرامات مالية مرهقة على التلاميذ المخالفين من أعضائها. ومن ثم أسس حسن البنا، وهو طالب، مع مجموعة من زملائه (جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)،

حيث كانت تهدف إلى فرض الالتزام بتعاليم الإســلام من خلال توجيه خطابات تهديد إلى من تراهم لا يلتزمون بهذه التعاليم من بين سكان المدينة "(28).

وبعد ذلك توجه حســن البنا إلى مدينة دمنهور لإكمال الدراســة الثانوية في دار المعلمين، وبقي في تلك المدرسـة أربع سـنوات، ثم انتقل إلى العاصـمة القاهرة للالتحاق بدار العلوم، وقد "أصــابت القاهرة، بصــخبها وحداثتها، الفتى القادم من عمق الريف المصــري المحافظ بالصـدمة. وفي دار العلوم، حيث يتلقى الطلاب العلوم العربية والإسـلامية ومسـاقات أخرى غير تقليدية، بطرق حديثة، سـتبدأ رؤية حسـن البنا للإسـلام ومصـر والعالم، في التشـكل، ولكن القاهرة بالنسـبة له لم تقتصـر على دار العلوم، فقد اعتاد البنا خلال سـنوات دراسـته الأربع ارتياد مجلس الإصلاحي الإسلامي الكبير رشيد رضا، صاحب مجلة (المنار)، ومجلس محب الدين الخطيب الكاتب والصحافي السـوري المقيم في القاهرة، صـاحب الدار السـلفية للنشـر ومجلـة (الفتح). في أوســاط رضــا والخطيـب وآخرين من أهـل الرأي والعلم في قـاهرة العشرينيات، تعرف البنا على قضايا الفكر الإسلامي الحديث، وعلى انقساماته، وعلى رجاله من مصريين وغير مصريين "(29).

وكان لكل من رشـيد رضا ومحب الدين الخطيب، الأثر الكبير في تشـكيل وعي البنا الإسـلامي، وكذلك العروبي، حيث إن الاثنين كانا من دعاة توحيد أقطار العرب، وإعلان الخلافة من بلاد العرب، ومن ثم الانطلاق منها إلى بقية أمصـار العالم الإسـلامي. تصـادف في العام الأول من دراسـة حسـن البنا في دار العلوم إصـدار دسـتور 1923 المثير للجدل، والذي تضـمن مواداً حول صــلاحيـات الملـك والبرلمـان، وركز على قيم مثـل الليبراليـة، ومنح فيـه البريطـانيون بعض الاستقلال المحدود لمصر، بغية استيعاب آثار وتداعيات ثورة 1919، وقد "جاء الدستور مشوهاً، لا يحقق للأمة سـلطاناً حقيقياً، فللملك حق حل مجلس النواب، وللملك حق تأجيل انعقاده، وللملك حق إصـدار مراسـيم في حالة غيبة البرلمان، والملك يعين الوزراء ويقبلهم، ثم هناك مجلس شـيوخ، يعين الملك خمس أعضائه، وينتخب الباقون ممن لا يقل دخلهم السـنوي عن

([28]) دبعي، رائد محمد عبد الفتاح: أساليب التغيير السياسي لدى حركات الإسلام السياسي بين الفكر والممارسة: الإخوان المسلمين في مصر نموذجا. مصدر سبق ذكره. ص 51.

([29]) نافع، بشير موسى: الإسلاميون. الدار العربية للعلوم ناشرون. بيروت، لبنان. الطبعة الثانية 2013 . ص 44.

500 جنيه من المشـــتغلين بالأعمال المالية أو التجارية أو الصـــناعية، والملاك الذين يؤدون ضريبة لا تقل عن 150 جنيهاً مصرياً في العام"(30).

وقد سبب هذا الدستور جدلا واسعاً بين الأحزاب والقوى السياسية المصرية، وكان البنا يتابع السجالات والنزاعات بين القوى السياسية من تلك المعارضة أوالمؤيدة للدستور. وضمن هذه الفترة شهد البنا فشل المساعي الرامية لعقد مؤتمر الخلافة الإسلامية في القاهرة، والذي كان الهدف منه تنصيب الملك فؤاد خليفة على المسلمين بعد سقوط السلطنة العثمانية. كذلك شهدت الحياة السياسية والفكرية في البلاد سجالا كبيراً إثر صدور كتاب الشيخ علي عبد الرازق "الإسلام وأصول الحكم"عام 1925، والدكتور طه حسين "في الشعر الجاهلي"عام 1926. وقد رفض البنا مثل هذه الأفكار وحذر منها لأنها ـــــ في رأيه ـــــ تحاول عزل الإســلام وفصله عن الحياة العامة وعن الدولة والمجتمع، واختصاره في مظاهر وطقوس، بغية طمس الهوية الإســلامية لصــالح أفكار وأيديولوجيات مســتوردة من الغرب، "لقد اســتطاع خصــوم الإسلام أن يخدعوا عقلاء المسلمين، وأن يضعوا ستاراً كثيفاً أمام أعين الغير منهم، بتصوير الإسلام نفسه تصويراً قاصراً في ضروب من العقائد والعبادات والأخلاق، إلى جانب مجموعة من الطقوس والخرافات والمظاهر الجوفاء، وأعانهم على هذه الخديعة جهل المســلمين بحقيقة دينهم، حتى استراح كثير منهم إلى هذا التصوير، واطمأنوا إليه ورضوا به "(31).

ورغم احتفاظ البنا ببعض أشــكال العبادات الصــوفية، والتي تلقى فيها الأوراد والأدعية والتراتيل الطويلة، إلا أنه كان يرفض المظاهر الطقوســية التي يرى فيها خروجاً عن تعاليم الإسلام، وكان هذا الموقف واحداً من علامات التحول في شخصية البنا من الإسلام الشعبي الطقوسي، إلى إسلام آخر، هو إسلام سياسي تشريعي، ينشد المشاركة في السياسة والإشراف على مجمل مناحي حياة المسلمين، من اجتماعية واقتصادية وسياسية وغيرها، ويرفض الانصياع التام لشيخ الطريقة على حساب التفكير والتدبير في أمور الدين والدنيا، "وبالرغم من اشــتغالنا الكامل بالعبادة والذكر، واســتغراقنا في الطريق بأورادها ووظائفها وأحفالها، إلا أننا كنا دائماً نعشــق العلم والقراءة، وننفر من كل ما يتنافى مع ظاهر الدين وأحكامه، وننكر على كثير من المنتســبين للطرق خروجهم على تعاليم الإســلام، فكنا

([30]) الشافعي، شهدي عطية: تطور الحركة الوطنية المصرية 1882 ـ 1958. الدار المصرية للطباعة والنشر. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 1957. ص 55 و56.

([31]) البنا، حسن: مجموعة رسائل الإمام البنا. مصدر سبق ذكره. ص 512.

مريدين أحراراً في تفكيرنا وإن كنا مخلصـين كل الإخلاص في تقديرنا للعبادة والذكر وآداب السلوك"(32).

وفي خضـم تلك الصـراعات والتجاذبات في القاهرة، ومع بروز التيارات الليبرالية والأصـوات الداعية إلى التغريب، وانتشـار حملات التبشـير، وسـطوة الاحتلال البريطاني، ووجود ملك وحاشية فاسدة، ازداد تمسك حسن البنا بالإسلام والشريعة، ووجد الحل في تطبيق الإسلام وتحقيق العدالة، والوصـول إلى الدولة الإسـلامية في مصـر، وتالياً الخلافة الإسـلامية المنشـودة في كل العالم الإسـلامي، وظهر أن البنا قد نذر نفسـه لهذا الهدف، وكتب بمقال في آخر سـنة له في دار المعلمين متعهدا بأن "يكون ناصـحاً ومعلماً، وأن يكرس نفسـه لتعليم الأطفال بالنهار وآبائهم بالليل، مبصـراً إياهم بأهداف الدين والمصـادر الأصـلية لرفاهيتهم وسـعادتهم في الحياة، وهو يتعهد أن يبذل لهذه المهمة أقصـى ما يمكنه من مثابرة ونكران ذات، ومن فهم ودراسـة، واهباً لذلك جسـداً يشـوق لمواجهة المصاعب، وروحاً نذرها الله".. ثم يختم مقاله بعبارة: "هذا عهد بيني وبين ربي"(33).

ب ـ مرحلة الإسماعيلية وتأسيس الجماعة:

بعد تخرج البنا من مدرسـة دار العلوم عام 1927، عين مدرسـاً في إحدى المدارس الابتدائية في مدينة الإسـماعيلية، وكان ذلك في أيلول/سـبتمبر عام 1927، وما ان اسـتقر له المقام هناك، وبعد معاينة لواقع المدينة والتعرف على حياة ومعايشـة أهلها، في ظل تواجد كثيف للأجانب والبريطانيين في كل من المعسـكرات ومقار شـركة قناة السـويس، بدأ البنا يحتك بالجماهير ويزور التجمعات ليعظ الناس، منتقداً الأوضـاع بشـكل عام، وداعياً إلى التمسك بالإسلام، ديناً وطقوساً وهوية، "المعسكر الإنجليزي في غرب الإسماعيلية ببأسه وسـلطانه وهيمنته وهيلمانه، يبعث في نفس كل وطني غيور الأسـى والأسـف، ويدفعه دفعاً إلى مراجعة هذا الاحتلال البغيض، وما جر على مصر من نكبات جسام، وما أضاع عليها من فرص مادية وأدبية، وكيف كان الحاجز الوحيد دون نهوضـها ورقيها والمانع الأول من وحدة العرب واجتماع كلمة المسلمين طوال ستين سنة"(34).

([32]) البنا، حسن: مذكرات الدعوة والداعية. مصدر سبق ذكره. ص48.

([33]) السعيد، رفعت: حسن البنا: متى، كيف ولماذا؟. دار الطليعة الجديدة. دمشق، سوريا. الطبعة العاشرة 1997. ص 60 و61.

([34]) البنا، حسن: مذكرات الدعوة والداعية. مصدر سبق ذكره. ص 82.

لقد وجد البنا في الإسماعيلية نموذجاً مصغراً عن كل الوطن المصري. مظاهر الاحتلال وسطوته، وفقر الناس وبؤسهم، وشظف العيش الذي يعيشونه، في مقابل الغنى والرفاهية ومظاهر الترف التي تطبع حياة الأجانب هناك. والمدينة بعيدة عن القيم الإسلامية، ولا حضور للشريعة ولتعاليم الدين فيها. الناس مغيبون عن دينهم، وهناك من يوجه ويرسم لهم معالم الحياة وطريقة العيش. وكان البنا قد بدأ في الإسماعيلية يقصد المقاهي والمساجد بغية العظة والدعوة للإسلام ومطالبة الناس بالعودة إلى أصوله، وترك مباهج الحياة وتبذير الوقت والكسل والعطالة. وكان بهذا الكلام وهذه الحماسة يلفت انتباه الأهالي، سيما وهو الشاب الصغير الملتزم الذي يتكلم بمثل هذا الكلام.

وفي عام 1927 قامت مجموعة من الشباب بتأسيس جمعية الشبان المسلمين، وذلك رداً على النشاط التبشيري الصاعد، وكان من أعضائها محب الدين الخطيب، ولكن هذه الجمعية لم تكن لتلبي طموحات البنا، حيث إنه"لم يجد في الطابع الإسلامي الليبرالي للشبان المسلمين استجابة لميوله. منذ سنوات المحمودية، اعتاد البنا المشاركة في نشاطات دعوية إسلامية مثل إلقاء الدروس في المساجد والمنتديات، وحتى في المقاهي، وقد واصل نشاطاته هذه في الإسماعيلية مما أدى إلى التفاف مجموعة من أبناء المدينة حوله. وسرعان ما تبلور لدى هذه المجموعة توجه لتأسيس جميعة إسلامية تكون مركزاً للنشاطات الدعوية وإقامة المدارس الإسلامية والمساجد، وهكذا ولدت جمعية الإخوان المسلمين، التي انتخب البنا رئيساً لها، في آذار/مارس 1928"(35).

ويكتب حسن البنا عن حادثة وصول أصدقائه إلى بيته في آذار/ مارس 1928، من أولئك المؤمنين بأفكاره ورؤاه في تأسيس جماعة إسلامية قادرة على تغيير الواقع بشكل بنيوي شامل، وليس بشكل جزئي ومحدود، مثلما تفعله بقية الجمعيات ذات الطابع الإسلامي، وكيف أن القادمين كانوا ممن تأثروا بدروسه ومواعظه، والذين طالبوه بتأسيس جماعة دينية يكون هو قائدها، وتبدأ في العمل لتغيير الأوضاع المزرية في البلاد، وتطبيق كل الدعوات التي يجاهر بها البنا في المقاهي والمساجد والأماكن العامة، " زارني بالمنزل أولئك الإخوة الستة: حافظ عبد الحميد، أحمد الحصري، فؤاد إبراهيم، عبد الرحمن حسب الله، إسماعيل عز، زكي المغربي، وهم من الذين تأثروا بالدروس والمحاضرات التي كنت ألقيها(...). وكانت بيعة، وكان قسماً أن نحيا إخوانا نعمل للإسلام ونجاهد في سبيله. وقال

(35) نافع، بشير موسى: الإسلاميون. مصدر سبق ذكره. ص 45 و46.

قائلهم: بم نسمي أنفسنا؟ وهل نكون جمعية أم نادياً، أم طريقة أم نقابة، حتى نأخذ الشكل الرسمي؟. فقلت: لا هذا، ولا ذاك، دعونا من الشكليات ومن الرسميات، وليكن أول اجتماعنا وأساسه: الفكرة والمعنويات والعمليات، نحن إخوة في خدمة الإسلام، فنحن إذن "الإخوان المسلمون". وجاءت بغتة، وذهبت مثلا، وولدت أول تشكيلة للإخوان المسلمين من هؤلاء الستة: حول هذه الفكرة، على هذه الصورة وبهذه التسمية"(36).

وهكذا توافق الجمع على تأسيس جماعة الإخوان المسلمين، وتعيين حسن البنا، رئيساً ومرشداً ومنظراً ومرجعاً للجماعة الجديدة. واتفق الجمع، أو الرعيل الأول المؤسس (الذين كانوا مغمورين في حقل الدعوة والنشاط الإسلامي، وطواهم النسيان لاحقاً) ، على أن تكون هذه الجمعية هي المدافع عن هوية المصريين الإسلامية، وأن تناطح الاحتلال والفساد ومظاهر التغريب وحملات التبشير، وأن تعيد الإسلام إلى المجتمع، وتوطد حضوره ومظاهره بكل ما أوتيت من قوة. كذلك كان الجانب العالمي من الدعوة حاضراً، فالأوضاع المزرية التي تعاني منها الشعوب الإسلامية الواقعة تحت نير التخلف والاستعمار، وسطوة الأيديولوجيات الدخيلة، كان أيضاً الشغل الشاغل للبنا ورفاقه.

واعتبرالبنا نفسه والجماعة الجديدة، الرد الإسلامي الموضوعي على التحديات الداخلية والخارجية، والفشل السياسي، والانحطاط الاجتماعي والتأخر الذي طغى على المجتمع المصري. ونظر البنا إلى نفسه، بوصفه صاحب رسالة جاءت إلى الأمة لإنقاذها والعودة بها إلى الطريق الصحيح، "ويمكن إجمال وصف الوقت الذي ظهر فيه حسن البنا بأنه ظهر والأمة ميتة تماماً، لا حراك بها، فإذا خرجت عن دائرة مصر لترى ما حولها من دول عربية وإسلامية، وجدت كل شعب من هذه الشعوب يغط في نوم عميق والاستعمار آخذاً بخناقهم جميعاً. وقد فقد الجميع كل شيء حتى الإحساس بالظلم"(37).

لقد جاءت الدعوة رداً على الاستعمار وحملات التشويه وإفراغ الشخصية المسلمة من مضمونها، وإبعادها عن الدين والهوية الإسلامية، عبر مناهج التعليم، وترسيخ قيم التغريب والليبرالية والحداثة لدى فئات مثقفة ونخبوية من أبناء مصر، من الذين توجهوا إلى الغرب للدراسة وتحصيل العلم، وعادوا لكي ينشروا القيم التي درسوها وآمنوا بها، "ومن أهم ما أشار إليه البنا من آثار الغرب الاستعماري هو قيامه بتزييف القيم والمفهومات لدى

([36]) البنا، حسن: مذكرات الدعوة والداعية. مصدر سبق ذكره. ص 84 و85.

([37]) عبد الحليم، محمود: الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ، رؤية من الداخل. الجزء الأول. مصدر سبق ذكره. ص 56.

المسـلمين من خلال مؤسـسـات ومناهج التعليم الحديثة، التي يسـيطر عليها، سـواء في البلدان الإسـلامية أو بلدان أوروبا وجامعاتها التي تذهب إليها البعثات من أبناء المسـلمين. ويضـرب البنا مثلا بمفهوم "الدين"، وكيف اسـتطاع الغرب- عبر تلك القنوات -أن يفرض المضـمون الذي يجرد الدين من وظيفته الاجتماعية ويحصـره في نطاق العلاقة الشـخصـية بين الفرد وخالقه"(38).

كما استطاع حسن البنا الاستفادة الكبرى من الأفكار والرؤى التي سبقت ظهوره، أو تلك التي كانت معاصرة له، من دعوات أصولية وسلفية، أو دعوات الإصلاح الديني، بغية البناء عليها، والانطلاق بروح الشـباب والالتزام والتنظيم لتنفيذها وتحويلها إلى برامج عمل وسـياسـة، "لقد كانت دعوة حسـن البنا اسـتجابة لوجوه التحدي والخلل الذي واجه الأمة الإسـلامية والجماعة المسلمة في مطلع القرن العشرين، وهي دعوة تندرج في سياق الجهود السلفية الإصـلاحية التي سـبقته، التي تتلمذ هو نفسـه على أبرز دعاتها (رشـيد رضـا ومحب الدين الخطيب) ومنابرها (المنار، الفتح)"(39).

ويعتبر بعض أنصار ومريدي حسن البنا أن دوره جذري وفاصل، وهو بذلك يتخطى دور الامتداد لأفكار من سـبقه من مفكري الإسـلام السـياسـي، بل يشـكل ظهوره انعطافة كبرى في تاريخ المنطقة وتحولا في الفكر الإسـلامي، فهو رائد التحول باتجاه التغيير الملموس على الأرض والخروج من إطار التنظير والقول، "لم يكن الإمام امتداداً لحركة التجديد في الفكر الإسـلامي، ومكوناً من مكونات الصـحوة الإسـلامية، التي بدأها جمال الدين الأفغاني، فمحمد عبده، فرشـيد رضـا، وإنما كان بحق رائد هذا الإحياء الإسـلامي المعاصر، وصاحب المشـروع الإسـلامي لنهضـة الأمة. فهو الذي جسـد هذا الفكر تطبيقاً في مشـروعات اقتصـادية، وحركياً في جماعة الإخوان المسلمين"(40).

وأعتبر البنا نفسـه واضـع الأسـاس للإسـلام السـياسـي الحركي الفاعل، ومقيم البنيان على أفكار الرعيل الأول من دعاة ومفكري (الإسـلام السـياسـي)، والناهض لتطبيق الشـريعة وإحياء

([38]) البيومي غانم، إبراهيم: الفكر السياسي للإمام حسن البنا. مدارات للأبحاث والنشر.القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 2013. ص 222.

([39]) المولى، سعود: الجماعات الإسلامية والعنف: موسوعة الجهاد والجهاديين. مركز (المسبار) للدراسات والبحوث. دبي، الامارات. الطبعة الأولى 2012. ص 40.

([40]) الغزالي، عبد الحميد: الفكر الاقتصادي عند الإخوان المسلمين: فكر الإمام المؤسس وبعض من سار على دربه. مصدر سبق ذكره. ص 6.

الخلافة، ورفض الأيديولوجيات الوضعية والتغريب والتبشير، أي النزول لساحة الفعل، والتوقف عن العمل ب"أضعف الإيمان"مثلما عمل من جاء قبله، ومن عاصروه من الشيوخ والدعاة الاصوليين، "لقد كان حسن البنا، وهو تلميذ مباشر لمحمد رشيد رضا، وغير مباشر للأفغاني وعبده، أول من تنبه إلى عجز الخطاب الإصلاحي عن الانتقال إلى خطاب سياسي إسلامي متكامل يواجه الأزمة التي كانت تعاني منها الأمة، فأنشأ جماعة الإخوان المسلمين لقناعته بعجز المؤسسات الإسلامية القائمة، والمنبثقة عن المشروع الإصلاحي للأفغاني، كمجلة المنار، التي كان يصدرها رضا، عن القيام بنهضة الأمة "(41).

ومن هنا فقد أراد حسن البنا أن يعود بالإسلام إلى إلى الأصل الأول (النبع)، بعيداً عن شوائب الزمان التي علقت به (اللاحق/الفرع)، وعمل على أن تكون جماعة الإخوان المسلمين هي القاطرة التي تجر الإسلام المعاصر إلى حيث الأصول والينابيع الأولى للدعوة المحمدية. إنها نظرة دائرية للتاريخ، يعود فيه آخره إلى أوله. أول التاريخ، حسب البنا، هو بزوغ الإسلام في تكوينه الأصيل، وآخر الزمان هو الوضع الآني المزري للمسلمين، حيث التلوث بعوائد الزمان والانحدار والتدهور في العقيدة والممارسة (42).

ج ـ التشكيل والعمل السياسي:

ظهر قرار البنا ورفاقه بالمجاهرة بالعمل التنظيمي والتحرك والانتشار، أي التغلغل في صفوف الجماهير وطبقات المجتمع، والدعاية والدعوة للإسلام بوصفه ليس فقط حضوراً طقسياً و مناسباتياً في حياة المصريين، بل بوصفه الهوية والكينونة وطريقة العيش والحياة، ومحدداً للسياسة والتعليم، وللعلاقات مع العالم الخارجي. كان المطلوب هو الجهر والقول بما يعتقده البنا حقاً في وجه كل شخص وكل جهة، أي ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صراحة وعلى رؤوس الأشهاد، "إن مبادرة حسن البنا في تأسيس تنظيم الإخوان المسلمين وضعت حداً بين مرحلتين، وشكلت بالتالي تحولا وانعطافاً عن الدعوة الإصلاحية السلفية التي تجسدت عند محمد عبده ورشيد رضا، حيث عمل البنا على ترجمة مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ترجمة سياسية تصل حسن البنا بالأفغاني لأن كلا

([41]) علي زواوي، خالد: مرجعية الخطاب السياسي الإسلامي في فلسطين. مؤسسة مواطن الفلسطينية لدراسة الديمقراطية. رام الله، فلسطين. الطبعة الأولى 2012. ص 45.

([42]) أنظر: رصاص، محمد سيد: الإخوان المسلمون وإيران الخميني ـ الخامنئي. دار جداول للنشر والتوزيع. بيروت، لبنان. الطبعة الأولى 2013. ص 27.

من محمد عبده ورشيد رضا وشيوخ الأزهر تقاعسوا في ممارسة مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(43).

لقد بدأ البنا بالعمل التنظيمي والاشتغال على بناء هياكل الجماعة، مستفيداً من التجارب السابقة في العمل الدعوي الإسلامي، بكل المثالب والاخفاقات الحاصلة، ومفكراً ومدبراً في كيفية الوصول بالجماعة إلى نوع من المؤسسة المتينة، القوية التنظيم والبناء، والقادرة على امتصاص الضربات واحتواء الصدمات، والتناغم مع كل متغيرات السياسة والزمن، "ومنذ بدأ الأستاذ البنا دعوته في مدينة الإسماعيلية، وجد الخلاف مستعراً بين الجماعات الدينية، وخصوصا بين معسكر السلفيين ومعسكر الصوفيين، وقد انتقل هذا الخلاف إلى المساجد، وانقسم معه المصلون إلى فريقين، يجرح بعضهم بعضاً، ولا يقبل الصلاة خلفه، وتراشقوا التهم إلى حد التكفير، مما جعل الشهيد البنا يدع المساجد بخلافاتها الحادة، ويولي وجهه شطر التجمعات الأخرى"(44).

وهكذا نأى البنا بنفسه عن الصراعات القائمة بين الجماعات الإسلامية، وبين فواعل الحراك الإسلامي، وحملات التكفير والتخوين المتبادلة، مقرراً الخروج من إطار الكلام والتنظير والنزول إلى المجتمع والدعوة بين الناس في الأماكن العامة وفي المقاهي بعد الفروغ من عمله في التدريس، "ثم انتقل بالذين تخيرهم إلى مسجد جديد كانت شركة قناة السويس قد أقامته لعمالها بالإسماعيلية. وأخذ المسجد يزدحم ليلياً بالرواد القادمين للاستماع إلى محاضرات البنا الذي نقل هذه الاجتماعات إلى القاهرة، التي عرفت بإسم دروس الثلاثاء في المركز العام للجماعة في حي الحلمية الجديد. وكان أسرع الناس إلى تبني دعوة الإخوان هم الجامعيون، ومن بعدهم البسطاء في القرى والأرياف من الفلاحين والمزارعين. وبعد ذلك ظهرت وسائل الإعلام الخاصة بالجماعة، مجلة الإخوان، والنذير، ثم صحيفة الإخوان اليومية "(45).

لقد كان حسن البنا، كشخصية وفكر وعقل تنظيمي، بمثابة التحول البنيوي في مسيرة (الإسلام السياسي)، الذي أراد تغيير الأوضاع السياسية ووقف عملية التغريب والحداثة،

([43]) أعراب، إبراهيم: الإسلام السياسي والحداثة. دار أفريقيا الشرق. بيروت، لبنان. الطبعة الأولى 2000. ص 45.

([44]) القرضاوي، يوسف: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم. دار الشروق. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 2001. 168.

([45]) المولى، سعود: الجماعات الإسلامية والعنف: موسوعة الجهاد والجهاديين. مصدر سبق ذكره. ص 57.

باعتبارها معادية لهوية الأمة، ورفض، من منطلق عقدي وشـرعي، الديمقراطية والمشـاركة السياسية وفق النموذج الغربي، رغم مشاركته والجماعة في اللعبة السياسية، ولجوءه هو شخصياً، إلى الترشح لمجلس النواب، والدخول في تحالفات مع بعض القوى السياسية في زمنه، وهذا ما يظهر الروح البراغماتية لدى البنا والجماعة في عهده (46).

ومن هنا نرى بأن حسـن البنا، كشـخصـية وفكر، تأثر بالظروف الاجتماعية والاقتصـادية والسياسية التي مرت بمصر، وكان مراقباً دائماً لأحوال العامة، الذين كانوا يعانون التهميش والفقر والإقصـاء، على أيدي سـلطات الاحتلال البريطاني، وكذلك على أيدي الحكومات الواقعة تحت سـيطرة القصـر والاحتلال نفسـه. كان البنا ميالا، منذ البدايات، إلى الجانب التنظيمي والدعوي، وكذلك إلى التعبئة والتحشـيد ورص الصـفوف، لا فقط إسـداء النصـح والوعظ والدعوة بالكلام والحجة. لقد كان يرى في الإسـلام نظام حياة وإدارة وحكم، وليس مجرد طقوس ومعاملات مدنية فقط. كان يريد حضوراً حقيقيا للإسلام في دقائق وتفاصيل حياة الفرد، بوصـفه روح الأمة وغاية وجودها، وليس مجرد مظاهر وعبادات وشـعائر مناسباتية. لم يكن البنا يؤمن بالحراك الإسلامي الموجود على الساحة، ولا بالجمعيات التي تضـع لنفسـها حدوداً في التحرك والدعوة، بل كان يخطط لجمعية قوية جماهيرية، قادرة على التأثير في عموم المشـهد، ووضـع أهداف كبيرة من قبيل طرد المسـتعمر البريطاني وإنهاء الوصـاية، وتنظيم صـفوف الجماهير ومنحها الثروة وحق الانتخاب. كان غرض البنا الأسمى هو تطبيق الشريعة الإسلامية، وإنهاء حملات التبشير والتغريب واللبرلة، وتطبيق منهج ونظام أسلمة شاملة، لتحقيق المجتمع المسلم حسب مقتضيات الخلافة، التي يجب إعلانها في مصـر، ومن ثم اعتبارها النواة للخلافة الكبرى التي تضـم كل بلاد العرب والمسلمين.

(46)Vgl. Hasche, Thorsten: QUO Vadis, Politischer Islam: AKP, Al-Qaida und Muslimbruderschaft in Systemtheoretischer Perspektive. Universitat Gottingen. Deutschland. 1 Auflage. 2014. S 305.

المـــصـــــــــــادر:

أولا: باللغة العربية:

1ـ الكتب:

1ـ إسماعيل علي، محمد: الغزو الفكري: التحدي والمواجهة. دار الكلمة للنشر والتوزيع. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 2013.

2ـ أعراب، إبراهيم: الإسلام السياسي والحداثة. دار أفريقيا الشرق. بيروت، لبنان. الطبعة الأولى 2000.

3ـ البنا، جمال: رسالة إلى الدعوات الإسلامية من من دعوة العمل الإسلامي. دار الفكر الإسلامي. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 1991.

4ـ البنا، حسن: مجموعة رسائل الإمام البنا. دار النداء. اسطنبول، تركيا. الطبعة الأولى 2015.

5ـ بوجحفة، رشيدة: حركة الإخوان المسلمين وعلاقتها بالسلطة: دراسة مقارنة: مصر والجزائر. مركز الكتاب الأكاديمي. عمان، الأردن. الطبعة الأولى 2017.

6ـ البيومي غانم، إبراهيم: الفكر السياسي للإمام حسن البنا. مدارات للأبحاث والنشر.القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 2013.

7ـ رصاص، محمد سيد: الإخوان المسلمون وإيران الخميني ـ الخامنئي. دار جداول للنشر والتوزيع. بيروت، لبنان. الطبعة الأولى 2013.

8ـ السعيد، رفعت: حسن البنا: متى، كيف ولماذا؟. دار الطليعة الجديدة. دمشق، سوريا. الطبعة العاشرة 1997.

9ـ الشافعي، شهدي عطية: تطور الحركة الوطنية المصرية 1882 ـ 1958. الدار المصرية للطباعة والنشر. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 1957.

10ـ عبد الحليم محمود، علي: وسائل التربية عند الإخوان المسلمين: دراسة تحليلية تاريخية. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. المنصورة، مصر. الطبعة الرابعة 1990.

11ـ عبد الحليم، محمود: الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ، رؤية من الداخل. الجزء الأول. دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع. الاسكندرية، مصر. الطبعة الخامسة 1994.

12ـ عبد الرحمن محمد البنا، فؤاد: الإخوان المسلمون و السلطة السياسية في مصر. مركز البحوث والدراسات الأفريقية ـ جامعة أفريقيا العالمية. الخرطوم، السودان. الطبعة الأولى 1994.

13ـ عبد العزيز، جمعة أمين: الإخوان والمجتمع المصري والدولي في الفترة من 1928 ـ 1938. دار التوزيع والنشر الإسلامية. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 2003.

14ـ علي زواوي، خالد: مرجعية الخطاب السياسي الإسلامي في فلسطين. مؤسسة مواطن الفلسطينية لدراسة الديمقراطية. رام الله، فلسطين. الطبعة الأولى 2012.

15ـ علي، عبد الرحيم: الإخوان المسلمون: قراءة في الملفات السرية. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 2013.
16ـ الغزالي، عبد الحميد: الفكر الاقتصادي عند الإخوان المسلمين: فكر الإمام المؤسس وبعض من سار على دربه. دار النشر للجامعات. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 2007.
17ـ القرضاوي، يوسف: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم. دار الشروق. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 2001.
18ـ متولي، محمود: مصر والحياة الحزبية والنيابية قبل سنة 1952: دراسة تاريخية وثائقية. دار الثقافة للطباعة والنشر. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 1980.
19ـ مصطفى، هالة: الإسلام السياسي في مصر من حركة الإصلاح إلى جماعات العنف. وكالة الإهرام للتوزيع. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 1992.
20ـ المولى، سعود: الجماعات الإسلامية والعنف: موسوعة الجهاد والجهاديين. مركز (المسبار) للدراسات والبحوث. دبي، الامارات. الطبعة الأولى 2012.
21ـ نافع، بشير موسى: الإسلاميون. الدار العربية للعلوم ناشرون. بيروت، لبنان. الطبعة الثانية 2013 .
22ـ يوسف، السيد: الإخوان المسلمون وجذور التطرف الديني والإرهاب في مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة، مصر. الطبعة الأولى 1999.

2ـ الأطاريح:

1ـ دبعي، رائد محمد عبد الفتاح: أساليب التغيير السياسي لدى حركات الإسلام السياسي بين الفكر والممارسة: الإخوان المسلمين في مصر نموذجا. أطروحة ماجستير مقدمة إلى كلية العلوم السياسية بجامعة النجاح الوطنية في نابلس. فلسطين. العام الدراسي 2012.

ثانياً: باللغة الألمانية:

1- Hasche, Thorsten: QUO Vadis, Politischer Islam: AKP, Al-Qaida und Muslimbruderschaft in Systemtheoretischer Perspektive. Universitat Gottingen. Deutschland. 1 Auflage. 2014.